

- ٩٣ -

الفنان - لسكى يتوافر له الذوق الجمالى - أن يعجب بالشيء الجميل ، دون أن يلقى بالألمثل هذه الغايات ، فلا يحتفظ في نفسه إلا بالشعور غير المحدد بأن هناك غاية للجمال في الطبيعة ، دون مضمون محسوس لتلك الغاية . وهذا هو ما يسميه « كانت » : « الغاية بدون غاية » في الشيء الجميل .

ورابع هذه الخصائص يتعلق بالحكم الجمالى من حيث الذاتية والموضوعية ؛ ذلك أن الحكم ، بعامه ، له ثلاث حالات : إما أن يكون تقريراً لحقيقة عن طريق التجربة ، أو برهنة نظرية على قضية علمية يسلم بها ضرورة ، أو مجرد احتمال منطقي ؛ إلا الجمال ، فان خاصته تقرير ما يدرك ضرورة إدراكاً ذاتياً ابتداء ، ولسكنه موضوعي من ناحية التصور ، بافتراض عموم الشعور به لدى ذوى الأذواق . فالجميل هو ما يعترف له بهذه الصفة ، لأنه مصدر شعور ذاتي بالرضا به ، دون حاجة إلى أفسكار وأقيسة يتطلبها الحكم الموضوعي . فاذا حكمت بأن هذه الأقيسة جميلة ، فليس ذلك نتيجة قياس حتمي منطقي ، أو نتيجة تجربة كما هي الحال في الطبيعيات والرياضيات مثلاً ؛ وإنما ذلك نتيجة لحكم ذاتي فردي ، وكأنه أمر صادر عن وعينا الجمالى . فاذا حكمتنا بما يخالفه ، كان في ذلك معصية للضمير الجمالى ، تشبه معصيتنا للضميرنا الخلقى ، فيما لو خالفنا واجباً خلقياً .

فالجميل موضوعه متعة لا غاية لها ، ولا علاقة لها بالمنفعة المحسوسة ، كما هو الشأن في الشيء اللذيذ ، ولا بالمصلحة الخلقية ، كما هو الشأن في الخير . وتلك المتعة أساس حكم ذاتي ابتداء ، ولسكنه موضوعي عالمي نتيجة . وهذه المتعة لا تستجيب إلى حاجة من حاجاتنا المادية ، كما أن هذه العالمية في الحكم الجمالى لا تستند إلى قاعدة . وحكم الخيال المبني على اللوق يوازى حكم العقل في المدركات العقلية من ناحية الوصول إلى مدركات جمالية عامة تشبه المدركات المنطقية في عمومها ، ولسكن بدون حاجة إلى أدلة وحجج . ولذا كان الحكم الجمالى عاماً عالمياً ، على الرغم من أنه غير موضوعي في منشئه لأن مصدره علاقة الأشياء بحواسنا ، وفي طبيعة حواسنا أساس لهذه العلاقات ، ولما يتسبب عنها من متعة . فالفن عند « كانت » متعة حرة ،